

## موضوع المحاضرة الثانية : تعريف علم المعاني وعلاقاته

اعداد مدرس المادة : الاستاذ المساعد الدكتور مرتضى عبد النبي الشاوي

أولاً : علم المعاني ، نشأته وتطوره

معلوم أن الكلام : هو الألفاظ التي تدل على معان يحسن السكوت عليها ، والمعاني جمع معنى ويراد به في اللغة ، المقصود والمطلوب من اللفظ أو الكلمة أما في الاصلاح البلاغي : فهو التعبير بالألفاظ أو القواعد والأصول التي تدرك وتعرف بها أحوال الكلام العربي في مطابقته مقتضى الحال بحيث يكون مناسباً للغرض الذي سيق له فمثلاً ذكاء المخاطب حال يقتضي معه ايجاز القول .

فعلم المعاني حدد عند الجرجاني ( ٤٧١هـ ) عند الجرجاني بارتباط الألفاظ بمعانيها وأسماء بالنظم إذ قال (( لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عامل ولا يخفى على أحد من الناس ))

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة : المعاني والبيان والبديع ، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تمييز .

أخذ المشتغلون بالبلاغة العربية ينحون بها منحى التخصص والاستقلال كما أخذت كل فن بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد الأخرى .

ظل الأمر حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري ( ت ٤٧١هـ ) ووضع نظرية علم المعاني في كتابه ( دلائل الاعجاز ) ونظرية البيان في كتابه ( أسرار البلاغة ) كما وضع ابن المعتز من قبله أساس علم البديع .

عبد القاهر الجرجاني هو واضع أصول علمي المعاني والبيان ومؤسسهما في العربية .

وهو الذي أقام أركان علم المعاني وعقد قعد أصوله وهذب مسائله .

وقد سبقوه في الإشارة الى نتف منه من أمثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وابي الهلال العسكري ( ت ٣٣٧ هـ ) في كتابه ( الصناعتين : الكتابة والشعر )

ومن أوائل من اتجهوا إلى الاختصار والتلخيص الفخر الرازي ( ٦٠٦ هـ ) في كتابه ( نهاية الایجاز في دراية العجاز ) فقد أختصر فيه كتابي ( دلائل الاعجاز ) و ( اسرار البلاغة ) لعبد القاهر الجرجاني .

ظهر بجانب الرازي وفي عصره عالم ضرب بسهم وافر في الفلسفة والمنطق وأصول الفقه والاعتزال واللغة والبلاغة وكان له تأثير خطير على البلاغة العربية

ذلك العالم هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ( ت ٦٢٦ هـ ) صاحب كتاب ( مفتاح العلوم ) الذي جعله أربع أقسام : قسماً في علم الصرف ، وقسماً في علم النحو ، وقسماً في علوم البلاغة ، وقسماً في علم الشعر .

لقد سارت دراسة البلاغة قبل السكاكي على منهاج من عدم الفصل بين فنونها .

وشهرة السكاكي في البلاغة مصدرها القسم الثالث من كتابه ( مفتاح العلوم ) ففقد أرفد هذا القسم من كتابه للكلام عن علمي المعاني والبيان ولواحقهما من البلاغة والفصاحة والمحسنات البديعية بنوعيهما اللفظي والمعنوي .

فبجهود البلاغيين الذين سبقوه وخاصة الجرجاني ( ٤٧١ هـ ) والزمخشري ( محمود بن عمر ) ( ٥٣٨ هـ ) والفخر الرازي ( ٦٠٦ هـ ) استطاع السكاكي تحقيق أمرين :

أحدهما : أن ينفذ إلى عمل ملخص دقيق لما نثره البلاغيون الذين سبقوه

الثاني : أن يصوغ كل ذلك في صيغ مضبوطة محكمة مستعيناً فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب وبهذا تحولت البلاغة في مفهومه أولاً وفي تلخيصه ثانياً إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم فهي عنده قوانين وقواعد صبت في قوالب منطقية .

وقد عرف السكاكي علم المعاني بقوله (( إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره ))

فتراكيب الكلام عامة وانما يقصد تركيبات البلغاء عمّن تعرف بلاغتهم وخواص التراكيب ما يسبق من فهمها عند سماعها ، والفهم عند صاحب الفطرة السليمة .

وهو عند القزويني ( ت ٧٣٩ هـ ) : (( علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ))

فموضوع علم المعاني فيما تقدم : اللفظ العربي من ناحية إفادته ما بعد مقتضى الحال ، أو المعاني الثواني أو الأغراض التي يساق من أجلها الكلام أو وفق الأغراض التي يسير فيها الكلام وفيه يحترز من الخطأ في تأدية المعاني المقصودة والمرادة .

ويمكن حصر موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب ( المفتاح ) للسكاكي على النحو التالي :

١-الخبر والطلب

٢-الاسناد الخبري باختلاف السامع من حيث خلو الذهن أو الشك أو الإنكار

٣-الاسناد وبيان أحوال المسند إليه والمسند من حيث : الحذف والذكر والتكبير والتعريف والتقديم والأخير والتخصيص والمقتضيات البلاغية لذلك

٤-الفعل ومتعلقاته

٥-الفصل والوصل

٦-الايجاز والاطناب وبيان كيف أنهما نسبيان

٧-القصر وأنواعه وطرفه .

٨-الطلب ويندرج تحته :

أ- مقدمة عن الطلب مستمدة من كلام المناطقة عن التصور والتصديق وما يحصل في الذهن وما يحصل في الخارج .

ب-أنواع الطلب الخمسة : التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء وأدوات كل نوع منها ووظائفها .

ت-الأغراض البلاغية أو المعاني الاضافية التي يخرج الطلب عن مانيه الأصلية من أجل الدلالة عليها وذلك مثل : التعجب والانكار والاستبطاء والنفي .

توافرت شروحات وتلخيصات على كتاب ( مفتاح العلوم ) للسكاكي :

أولا : الشروحات

أ- مفتاح المفتاح لقطب الدين محمود الشيرازي ( ٧١٠ هـ )

ب-شرح المفتاح لمحمد بن مظفر الخخالي ( ٧٤٥ هـ )

ت-شرح القسم الثالث من المفتاح للسيد الشريف الجرجاني ( ٨١٦ هـ )

ث-شرح المفتاح لابن كمال باشا ( ٩٤٠ هـ )

ثانيا التلخيصات

أ- المصباح في اختصار المفتاح لبدر الدين بن مالك ( ٦٦٨ هـ )

ب-تلخيص المفتاح لأبي عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ( ٧٣٩ هـ )

ت-الفوائد الغياثية في علوم المعاني والبيان والبديع لعبد الرحمن الشيرازي ( ٧٥٦ هـ )

وهناك شروحات لتلخيص المفتاح للقزويني :

أ- إيضاح التلخيص للخطيب القزويني

ب-مفتاح تلخيص المفتاح لمحمد بن مظفر الخخالي ( ٧٤٥ هـ )

ت-عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ( ٧٧٣ هـ )

ث-شرح تلخيص القزويني لمحمد بن يوسف ناظر الجيش ( ٧٨٨ هـ )

ج-شرح تلخيص المفتاح لمحمد البايرتي ( ٧٩٢ هـ ) وشمس الدين القونوي ( ٧٨٨ هـ )

ح-الشرح الكبير والشرح الصغير للتلخيص لسعد الدين التفتازاني ( ٧٩٢ هـ )

خ-مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ( ١١١٠ هـ )

وممن نظم ( تلخيص المفتاح ) شعرا :

أ- أنبوب البلاغة لخضر بن محمد مفتي أماسية

ب- عقود الجمان لجلال الدين السيوطي

ت- الجواهر المكنون في الثلاثة الفنون لعبد الرحمن الأخضرى

وممن قام باختصار ( تلخيص المفتاح ) : عز الدين بن جماعة ، وأبرويز الرومي ،

وزكريا الأنصاري .

### ثانياً : علاقات علم المعاني بالعلوم الأخرى

أما مكانته بين العلوم الأخرى فهي أنه ألصقها بالقرآن الكريم وبه عُرف إعجازه .. بل هو علم يشتمل على سائر العلوم وليس بالضرورة أن يشتمل عليه علم النحو أو الصرف أو البديع مثلاً، فلا يعتد فيه بكلام لم يراعَ فيه الوجه الصحيح لبناء الكلمة في الصرف، ولا بكلام نُصب فيه ما حقه الرفع ، ولا بصورة بديع لم يحسن صاحبها التأتى إليها إن ثمره هذا العلم هو الوقوف على الأسرار التي يرتفع بها شأن الكلام ويفضل بعضه بعضاً، ومعرفة إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله بم من حسن الوصف ولطف الإيجاز وجودة السبك وبراعة التراكيب وجزالة الكلمات وعذوبة الألفاظ ومحاسن الكلام، والوقوف على بديع القول وأسرار البلاغة وأسباب الفصاحة وغير ذلك .

### ثالثاً : فوائد علم المعاني :

١- معرفة الاعجاز القرآني في ادراك كلام الله وجودة سبكه وحسن وضعه ووصفه ولطف ايجازه ووصفه وبراعة تراكيبه وسهولتها وعذوبة ألفاظه وجمالها وسلامتها وجزالتها .

٢- التمكن من ادراك معاني البلاغة والفصاحة في منشور الكلام العربي ومنظومه ليستطيع القاريء أو السامع من مجاراته والحدو حذوه والتفريق بين الجيد وال رديء وليعرف السر في افتخار النبي المصطفى ( صلى الله عليه وآله ) بقوله : (( أنا أفصح من نطق بالضاد )) وقوله (( أوتيتُ جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً ))

٣- معرفة مقاصد الكلام واتجاهاته فمواضع الشكر والاعتذار غير مواضع المديح أو الهجاء كما هو معروف عند عامة العرب .

٤- إدراك قوة الأساليب فالجملة الأسمية غير الجملة الفعلية إذ الأولى تأتي لإفادة الثبات لمقتضى المقام في حين إن الجملة الثانية لا تصل الى مستوى أدائها وقوة إثباتها .

فعلم المعاني يبني على عناصر الكلام التي تعتمد الجمل إذ لكل جملة ركنان أساسيان هما :  
المسند إليه والمسند .

المحاضرة الثالثة : أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

ان الباحثين في البلاغة العربية منذ صدر الاسلام لم يكونوا مدفوعين إلى ذلك بباعث في الشغف العلمي والبحث النظري المجرد في البلاغة وانما حفزهم في الواقع إلى الاشتغال بها رغبة ملحة في تحقيق : هدف خاص وآخر عام .

أما الهدف الخاص فكان هدفاً دينياً يرمي إلى معرفة أعجاز كتاب الله ومعرفة معجزة رسوله الذي أوتي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد .

وهو البحث في أشار الاعجاز وأسبابه واعتبارها مكملة للإيمان بالنبى ورسالته .

أما الهدف العام فلا يتعلق به غرض ديني ، وانما هو محاولة الاطلاع على أسرار البلاغة والفصاحة في غير القرآن من كلام العرب شعره ونثره .

ان الاثر الذي يحدثه علم المعاني في بلاغة القول يتولد في الواقع من أمرين :

١- بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها

٢- المعاني المستفادة من الكلام ضمناً بمعونة القرائن .

وتوضيحاً للأمر الأول : فللمخاطب الذي يلقى إليه خبر من الأخبار مثلاً ثلاث حالات :

١- قد يكون خالي الذهن من الحكم الذي هو مضمون الخبر وتقتضي مطابقة الكلام لحاله أن يلقى إليه الخبر مجرداً عن أي تأكيد .

٢- قد يكون المخاطب على علم ما بالخبر ولكن علمه به يمتزج بالشك وله تطلع إلى معرفة الحقيقة وفي هذه الحالة يحسن توكيد الخبر له إزالة للشك وتمكيناً للخبر من نفسه .

٣- قد يكون المخاطب على علم بالخبر ولكنه منكر جاحد له ويجب أن يلقى الخبر مؤكداً بمؤكد أو أكثر تبعاً لدرجة إنكاره قوة وضعاً .

نخلص إلى ذلك أن وجوب مطابقة الكلام لحال السامع هو أصل من أصول علم المعاني فاذا المخاطب كان خالي الذهن كان ذلك خروج على مقتضيات البلاغة .

وكذلك من أصول علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب .

فلا يجوز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب لانعدام الملاءمة بين الكلام ومقامه .

ومثال ذلك :

قال أحمد بن خالد : حدثني أبي قال : قلت لبشار : إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت ! قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : بينما تقول : شعراً يثير النقع ، وتخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

تقول :

ربابة ربة البيت تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت !

فقال بشار : لكل وجه وموضع ، فالقول الأول جدّ وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا أكل البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض فهذا عندها من قولي أحسن من ( قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ) عندك .

وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيما يتصرف القائل من ايجاز واطناب حيث لكل من الایجاز والإطناب مقاماته التي تقتضيها حال السامع ومواطن القول .

فالذي تكفيه اللمحة أو الإشارة يحسن له الایجاز والغبي أو المكابر يجمع عند خطابه الإطناب في القول .

أما الأمر الثاني ما يبحثه علم المعاني هو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن .



فالكلام يفيد بأصل وضعه معنى نطلق عليه المعنى الحقيقي أو الأصلي ولكنه قد يخرج أحياناً عن المعنى الذي وضع له أصلاً ليؤدي إلينا معنى جديداً يفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها .

تأمل مثلاً قول أبي فراس الحمداني :

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي مأوى الكرام ومنزل الأضياف

وكذلك قول أبي العتاهية في رثاء ولده عليّ :

بكيّتك يا عليّ بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شياً

وكانت في حياتك لي عطات وأنت اليوم أوعظ منك حياً

فكلا الشاعرين لا يقصدان المعنيين اللذين يدل عليهما الخبر بأصل وضعه وإنما يقصد إلى معنى آخر يستشفه اللبيب ويلمحه من سياق الكلام ، هو في بيت فراس الفخر بمكارمه الكثيرة وكرمه وهو في بيتي أبي العتاهية إظهار التحسر والأسى على فقد ولده وفلذة كبده ، هذا ما ذكرناه من الإختصار والإيجاز في إظهار أثر علم المعاني في بلاغة الكلام .

